

وعقب انهيار إمبراطورية مالي المسلمة قام نظام للحكم القبلي مهد الطريق للاستعمار ليدخل هذه المناطق، فجاء البرتغاليون في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، ثم تأسست أول مستعمرة فرنسية عام ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٦م، ثم جاء البريطانيون عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م، ثم عادت المنطقة إلى فرنسا عام ١١٩٦هـ/ ١٧٨٣م.

ورغم حنين شعوب المنطقة إلى قيام اتحاد فيدرالي بينها في العصر الحديث يجمع بين شعوب كلٍّ من السودان الغربي (مالي) والسنغال وداهومي - بنين حاليا - وفولتا خلال الخمسينات من هذا القرن تحت اسم (اتحاد مالي) ليربط بين الحاضر والماضي، وليعيد للأذهان ذكرى إمبراطورية مالي الفسيحة التي كانت تضم غانا، بما حوته تلك الإمبراطورية من أمجاد وإمبراطوريات، إلا أن الاستعمار لعب الأعباء للقضاء على المشروع، فاحتفظت كل دولة من هذه الدول باستقلالها.

إمبراطورية مالي القديمة ٦٣٨ - ٨٩٢هـ / ١٢٤٠ - ١٤٨٨م:

نشأت دولة مالي الإسلامية على أنقاض غانا في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وقد قامت دولة مالي على أكتاف قبائل الماندنغو المسلمة، الذين كانوا سادة لمقاطعة كانجابا، وانتصروا في الصراع الذي دبّ بين المقاطعات التي كانت خاضعة لإمبراطورية غانا، فأقاموا على أنقاض غانا الدولة الإسلامية الجديدة التي عرفت باسم (دولة مالي) عام ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م، وكان ذلك بقيادة سندياتا، أول ملوك هذه الدولة.

وقد ساعدت الظروف المحيطة بقيام تلك الدولة الجديدة على ازدهارها، ومن تلك الظروف أفول دولة الموحدين، والصراع الذي دار بين الدول التي قامت على أنقاضها، مما شغل الشمال الإفريقي عن هذه الدول الجديدة. وقد شهدت دولة مالي المزيد من الانتصار والتوسع.

كان سندياتا مؤسس الدولة يقود الجيوش بنفسه في المرحلة الأولى لتكوين الإمبراطورية، حتى تمّ له الانتصار على غانا، وبنى لدولته عاصمة جديدة هي ينامي، قرب نهر النيجر، وعهد إلى قواده بمواصلة الانتصارات، فأدخلوا ضمن مملكتهم بلاد ما وراء السنغال. ووصلوا إلى نهر جامبيا، ووصلوا حتى حدود بلاد التكرور، ومارست مالي نشاطها في السودان الغربي كله، وحققّت آمالها في ميادين السياسة والاقتصاد، وامتدت الإمبراطورية من جبال الأطلس غرباً إلى بلاد الهوسا شرقاً، ومن المحيط الأطلسي جنوباً حتى الصحراء الكبرى شمالاً.

وقد امتد نفوذ مملكة مالي فاستولت على مملكة صنغي الواقعة على نهر النيجر، وعصمت عاصمتها جوا ومدينة تمبكتو وبلاد التكرور، وامتدت شمالاً في قلب الصحراء، وجنوباً حتى فوتاجالون، وحدود نيجيريا الحديثة، وامتدت كذلك داخل الصحراء فاستولت على مناجم الملح في يّعزّه، ومناجم النحاس في نكدا، ووصلت إلى المحيط الأطلسي، وانتشر الإسلام حتى عمر أكثر بلاد نيجيريا.

وتربع على عرش مالي ماري جاطة الثاني ، وكان مسرفاً في خبل ، متردداً في ضعف ، فأتلف ملكهم ، وأفسد ذخيرتهم ، وتفكك جيش مالي وتمزق ، وأصبح أداة سوء وخلل ، وفتح الباب لاستقلال الدول والإمارات التي كانت أجزاء من الإمبراطورية ، وتمزقت أوصالها ، وجاءتها الضربات من كل جانب . وكانت أكر الضربات التي وجهت لإمبراطورية مالي من صنغي التي تحررت من سلطان مالي .

وفي النصف الثاني من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي كان سلطان مالي قد آذن بالزوال ، ولم يبق لحكامها إلا الإمارة الضئيلة التي نشأوا فيها (كانجوبا) ، وقد دهمهم الاستعمار الأوربي في تلك الإمارة الصغيرة .